خديجة الكبرى ع.. سيدة المبدأ

خديجة الكبرى ع..

سيدة المبدأ

_____

ان الثبات على المبادئ و عدم التزحزح عنها من الوسائل اللازمة لتحصيل ثمار النجاح والتقدم .

و ما ظفر عامل بمرغوبه إلا بفضل الثبات على القيم والمبادئ .

فالناس بالنسبة إلى الثبات على صنفين :

1 _ ثابت كالطود على مبدئه لا تزعزعه العواصف ، ولا تزلزله القواصف ، حيث يتجلى هذا الثبات في جميع أحواله فهو ثابت الجنان واللسان والقدم و العمل، لا يكترث بما يلاقيه من التعب ، ولا تثنيه عنه قوة المعارضة، وهذا دليل على كمال الصدق والإخلاص .

وهذا هو المعول عليه في خط الرسالة .

2 _ متزلزل العقيدة، متضعضع الفكر، يستحسن اليوم مبدأ ويستقبحه غدا، يدخل اليوم في مشروع و يخرج منه غدا، وهذا ممن لا ينتج نجاحا ، بل وجوده يهدم مشروع الرسالة من الداخل ويفت في ساعد العاملين و يثبط عزيمتهم .

وهنا تبرز شخصية السيدة خديجة ع في ثباتها في خط الرسالة، وتضحيتها بمالها ، ووجودها الاجتماعي ، ومنزلتها الاسرية ، من أجل اقامة دعائم الاسلام .

لذلك بقيت مستوعبة لكل مشاعر الخاتم ص ، فكان لا يفتا يستذكرها ، ويدعو لها ، ويتصدق عنها ، ويتاوه لفراقها ، لأنها الركن الثابت الذي استند عليه ، والتي على كل ماقدمته للإسلام وهي ثابته المبدأ ، نراها تقدم اعتذارا وانكسارا لرسول ا ص عن تقصيرها

(فلمّا اشتدّ مرضها ، قالت :

إنّي قاصرة في حقّك فاعفني يا رسول ا .

قال ص : حاشا وكّلا، ما رأيت منكِ تقصيراً، فقد بلغتِ بجهدك، وتعبت في داري غاية التعب، ولقد بذلت أموالكِ وصرفت في سبيل ا مالَكِ) (1) .

وهنا نتامل قليلا بما سجلته عليها السلام من دروس وعبر وتأملات للأجيال عبر الزمن :

اولا : الصبر الرسالي :

_____

وهو ان يتحمل الانسان كل تبعات الانتماء للخط الرسالي ، ويصبر بوعي وايمان وعلم وعقيدة على وخز القريب والبعيد ، ويتعايش مع الم المسؤولية حبا ، وتقربا إليه ، ويألف دفع الضرائب رخيصة من أجل الدين .

وهكذا كانت خديجة الكبرى ع مع رسول ا ص ، راضية محتسبة، لم تتبرم له لوعثاء الطريق ، بل ازرته ، ووضعت يدها بيده في المحنة ، ورضيت أن تترك منزلها الفاخر ، وتخرج حبيسة مع صلى ا عليه واله بين جبلين، لتفترش الحصباء وتلتحف السماء، وتكابد الجوع والفقر ، وهي الثرية المقتدرة .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (2) .

_____

ثانيا : صورة المرأة في الإسلام

_____

اعطت عليها السلام صورة جميلة ومشرقة وواعية خلال مسيرتها في الحياة عن المرأة في الاسلام ، ودورها في قيادة الحركة الاسلامية بجناحها النسوي مع النبي القائد ص .

ونشاطها الثقافي والانساني والحركي والاجتماعي في بناء المجتمع ، وذلك بمؤازرتها الرجل الانموذج ، ووقوفها معه في بداية انطلاق مشروع التغيير والإصلاح .

وهذا خلاف ما تبنته الحضارة المزعومة حين امتهنت المراة وباعتها سلعة رخيصة في سوق الشهوات .

لذلك كرمها ا بتكريم متميز ، روي عن رسول ا ص (ان ا بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب) (3)

ثالثا : التقاليد وتقاطعها مع روح الشريعة وآدابها :

اعطت نموذجا عمليا رائعا في مخالفة الاعراف والقواعد التقليدية السائدة في المجتمع حين قبلت الانسان المتكامل خلقا ووعيا ورسالة حبيبا وزوجا لها ، وابا لاسرتها .

وهي رسالة من سيدة الوعي ، وحكيمة البيت النبوي لشبابنا وشاباتنا واسرنا .

فتقول للشباب :

(تخيروا نساءكم وفق موازين الدين والاخلاق والوعي لا المال والشكل وصغر السن كما هو سائد اليوم في ثقافة اختيار شريكة الحياة .

والذي _ مع بالغ الأسف _ يعد سببا مؤثرا من اسباب انتشار الطلاق في المجتمع .

ورسالة الى الشابات والأسر:

(اختاروا الشاب المؤمن الواعي الخلوق ، وفكروا في بناء الاسرة السعيدة التي ملؤها الحب والانسجام والتفاهم .

ولا تفكروا فقط بالمال والجاه والمنصب)

روي عن النبي ص :

(من تزوج امرأة لا يتزوجها الا لجمالها لم ير فيها ما يحب ..)(4)

وروي عنه عليه واله الصلاة والسلام :

(اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه) (5) .

رابعا : المال ودوره في حياة الانسان :

اعطت توضيحا عمليا لفلسفة المال في حياة الانسان المسلم الواعي الغيور على دينه وقيمه ، حين قدمت اطروحة المال الرسالي الذي يمثل عجلة الحياة في مشروع الاصلاح القيمي والاخلاقي والاجتماعي وغيره .

فوظفت مالها لخدمة الاهداف الكبرى التي تبني المجتمع ، وتقوي حركة الاسلام ونجاح اطروحته الالاهية .

(ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة)(6)

خامسا : التعويض الالهي للثابتين الصابرين :

ان ا تعالى بعد هدايته للانسان ، وتوفيقه له للعمل في سبيله ولوجهه تعالى شأنه ، ياتي الباري جل وعلا ليعوضه _ دنيويا واخرويا _ بجزاء يفوق حتى العمل الذي ق

دمه من أجله جل شأنه، قال تعالى : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) (7).

وهذا درس بليغ للعاملين الثابتين في طريق ذات الشوكة .

وهنا نقف عجالا على بعض العطايا لسيدة الثبات ع ،

(لمّا تُوفّيت خديجة ع أخذ رسول ا ص في تجهيزها وغسّلها ، فلمّا أراد أن يكفّنها هبط الأمين جبرائيل وقال: يا رسول ا، إنّ ا يقرئك السلام ويخصّك بالتحية والإكرام ويقول لك: يا محمّد إنّ كفن خديجة من عندنا، فإنّها بذلت مالها في سبيلنا.

فجاء جبرائيل بكفن وقال: يا رسول ا، هذا كفن خديجة، وهو من أكفان الجنّة أهداه ا إليها.) (8) .

فكفّنها رسول ا ص بردائه الشريف أوّلاً _ وهو قميصه الذي كان يرتديه عند نزول الوحي _ ، وبما جاء به جبرائيل ثانياً ، فكان لها عليها السلام كفنان: كفن من ا، وكفن من رسوله .....

فسلام من ا عليك .

يا ام الزهراء البتول ورحمة ا وبركاته.

_____

1 _ شجرة طوبى ، الحائري ص : 234 .

2 _ ال عمران ، اية 200

3 _ سنن الترمذي ،كتاب المناقب ،باب فضائل خديجة ، ح 3876 .

4 _ وسائل الشيعة ، العاملي ، باب 4 ،من ابواب مقدمات النكاح ، ح 3 .

5 _ تهذين الأحكام، الطوسي، ج7 ، ص: 294 ، باب 33 ، ح 2 .

6 _ بحار الانوار ، المجلسي ، ج 60 ، ص 20 .

7 _ ال عمران، اية 195

8 _ شجرة طوبى ، الحائري، 223 .

_____

الشيخ عمار الشتيلي

النجف الاشرف

10 شهر رمضان 1439 هج